# المراهقون والمطالعة في تونس

د. محمد علي بن زينة(*)

إن هدف هذه الدراسة هو تقصّي أسباب انخفاض الإقبال على ممارسة المطالعة بصفة عامة، وعلى ارتياد المكتبات العمومية بصفة خاصة.ومن دوافع القيام بهذا العمل أنّ هذه الظاهرة تتفاقم(١)، رغم الحرص الواضح على دفع هذا القطاع في تونس، ويبرز ذلك خاصة من خلال وفرة المكتبات العمومية (٣٧٨ سنة ٢٠٠٨)(٢) الموزّعة على كامل البلاد، إلى جانب غزارة رصيد المؤلفات المتاحة (٦ ملايين و٥٧ ألف كتاب)، بالإضافة إلى تنظيم حملات إعلامية محفزة على المطالعة بصفة دورية.

## أولاً: تساؤلات البحث

تهتم هذه الدراسة بممارسة المطالعة لدى فئة المراهقين من الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ و١٤ سنة، ونتطلع أساساً لقياس درجة إقبالهم عليها، سواء أكان ذلك برغبة خاصة منهم أم نتيجة ضغط تمارسه عليهم المدرسة أو العائلة.

ويُحيلنا هذا الطرح إلى التساؤل حول مدى ارتباط الظاهرة المدروسة ببعض

(*) محمد علي بن زينة أستاذ مساعد مختص في الديموغرافيا الاجتماعية والتربية بقسم علم الاجتماع بجامعة تونس.

(١) يتبين من خلال الإحصائيات الرسمية أن عدد القراء في المكتبات العمومية انخفض من ٥٢٣٠١٧٩ سنة ٢٠٠٤ إلى ٤٦١٣١٤٥ سنة ٢٠٠٨.

(٢) المعهد الوطني للإحصاء، النشرة الإحصائية السنوية لتونس، عدد ٥١، (٢٠٠٨) ص ٧٦ و٧٨.

التحولات التي يشهدها المجتمع، والتي تتعلق بوسائل الاتصال والإعلام الحديثة التي أصبح يزخر بها اليوم فضاء المراهق؛ فبالإضافة إلى التلفاز، تتنافس برمجيات الحاسوب وألعاب الفيديو والإنترنت على ما بقي من وقت يقضيه المراهق عادة في الممارسات الثقافية. فهل إن استعمال هذه الوسائل يؤثر في انصراف المراهق عن المطالعة؟

تبدو ممارسة المطالعة في هذا الإطار ـ بقطع النظر عن قيمتها الموضوعية لدينا ـ في علاقة ببعد آخر لدى المراهق يتغير بتغير علاقته بمجالات المعرفة المختلفة. فهل تتساوى لديه قيمة المعارف التقنية والأدبية؟ إن فهمنا للمعنى الذي يُعطيه المراهق للمطالعة، باعتبارها حاملة لنمط معرفي يرتبط عادة بتملّك قدرات لغوية وأدبية، قد يفيدنا في فهم أدق لأسباب إقباله عليها أو على غيرها من الممارسات الأخرى التي قد تستدعي «كفاءات» تقنية، كاستعمال الحاسوب والإبحار في الإنترنت مثالاً. فإلى أي مدى تعبّر ممارسات المراهق الثقافية عن تراتبية اجتماعية مستبطَنة للمجالات المعرفية، الأدبية منها والعلمية؟

## ثانياً: منهجية البحث

نحاول، من خلال ما يلي، تقديم تعريفين أساسيين في هذا البحث، يرتبط الأول بتحديد الفئة المبحوثة (المراهقين)، في حين يمثل الثاني مفهوماً محورياً لتحليل الظاهرة المدروسة (العلاقة بالمعرفة). كما سنقدم، ثالثاً، طريقة بناء العيّنة وأهم خصائصها.

### ١. مفهوم المراهقة

اهتم عديد من الاختصاصات العلمية في مجالات أبحاثها بفئة المراهقين، ونذكر منها الطب وعلم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع، خاصة في فرعيه علم اجتماع العائلة وعلم اجتماع التربية[٣].

وتختلف التعريفات المقترحة لهذه الفئة باختلاف المنطلقات النظرية والفكرية المعتمدة في هذه التخصصات. غير أنها تتفق على اعتبار المراهقة، من معيار بيولوجي ـ اجتماعي، فترة انتقالية بين الطفولة والكهولة، تقدّر فيها السنّ الدنيا بالبلوغ الجنسي، وبتحصيل قدر كافٍ من التعلّمات يتيح سلوكيات وممارسات

(٣) لمزيد الاطلاع على نشأة هذا المفهوم راجع: G. Levi, J.C. Schmitt, *Histoire des Jeunes en occident* (Paris: Seuil, 1996).

و O. Galland, *Les Jeunes (Paris: La Découverte, 1984)*

مستقلة وواعية. وتحدَّد السن القصوى بالانخراط في حياة مهنية و/أو عائلية جديدة، أي بما يُعبَّر عنه بالدخول في «معترك الحياة».

ورغم الوضوح النسبي لهذا التعريف الأولي، إلا أنّه يبقى من الناحية الإجرائية غير عملي. ذلك أنّ تعدد مسارات الأفراد في المجتمع، وتأثر هذه المسارات بالانتماء الثقافي والطبقي وبالنوع الاجتماعي، تجعل تحديد فئة عمرية معينة للمراهقة أمراً يصعب الحسم فيه(٤). هذا إلى جانب أنّ هذا التعريف يجعل فترة المراهقة تغطي فترة الشباب، في حين أنّ أغلب من تجاوزت سنّهم ١٨ سنة يعتبرون أنفسهم راشدين، ويرفضون عادة اعتبارهم من المراهقين، بل ويرون أنّ في ذلك نوعاً من الاستنقاص، مما يثير مشكلة تقبّل المبحوثين أنفسهم لهذا التصنيف.

لذا، وحتى يتسنى تحديد أدق للفئة المبحوثة، سنقوم باعتماد تعريف يراعي خصوصيات الموضوع ويستجيب لشرط تجانس الأفراد أمام الظاهرة المدروسة.

وسنتطرق، في هذه الورقة، إلى المراهقين من خلال ممارساتهم الثقافية والترفيهية عامة، ومن خلال ممارساتهم للمطالعة تحديداً، في محاولة لبحث واقعهم وفهم تمثّلاتهم ودوافعهم، وتحليل الأدوار التي تلعبها مؤسستا المدرسة والعائلة في تحديد خياراتهم وتوجّهاتهم .

وقد وقع الاختيار على فئة ١٠-١٤ سنة، باعتبار أن بعض الدراسات أكّدت أن التعلّق بممارسة المطالعة يبدأ خلال هذه الفترة عند تملّك القدرة على القراءة، وتنخفض معدلات المطالعة مع ارتفاع السن. غير أن حظوظ الإقبال على الكتاب خلال فترة الشباب والكهولة تبقى أرفع لدى من مارسوا المطالعة خلال فترة المراهقة بالمقارنة مع غيرهم(٥).

كما تُعتبر هذه الفئة تحت تأثير مؤسستين اجتماعيتين أساسيتين هما المدرسة والأسرة اللّتان تقومان بتأطير حياة المراهق في هذه المرحلة. فالعائلة تمثّل المرجعية الأولى له في ما يتعلق بالقيم الأخلاقية، وفي تحديد انتمائه لثقافة محددة، في حين أن المدرسة تمثّل مصدر القواعد العامة المُلزمة في المجتمع، وأداة المعرفة الضامنة للكفاءة المعترف بها، والتي يطلبها المجتمع.

(٤) وجّه كثير من المختصين في علم الاجتماع انتقادات لهذا المفهوم من أبرزهم:

P. Bourdieu, *Questions de Sociologie* (Paris: Minuit, 1980).

(٥) H. Michoudon, "La lecture une affaire de famille", *INSEE Première*, Nº 777 (Mai 2001), pp. 1-4 F. De Singly, *Lire à 12 ans,* (Paris: NATHAN, 1989)

يُحيلنا هذا إلى مفهوم آخر رئيسيّ في طرحنا، وهو مفهوم العلاقة بالمعرفة باعتبارها محركاً لخيارات المراهق ولممارساته الثقافية.

### ٢. مفهوم العلاقة بالمعرفة

استُخدم هذا المفهوم حديثاً لقراءة الواقع التربوي والثقافي في فرنسا، وقد وقع تداوله بداية من أعمال برنار شارلو (Bernard Charlot)[٦] الذي حاول إيجاد تفسير مختلف عمّا قدّمه علماء الاجتماع لظاهرة عدم تساوي الحظوظ في النجاح المدرسي بين أبناء الطبقات الميسورة وأبناء الطبقات الشعبية. ذلك أنه لاحظ أن التلاميذ الذين ينتمون إلى الأوساط الضعيفة اقتصادياً يميّزون بين ما يعتبرون أنه «تعلّم في المدرسة» و «تعلّم الحياة». فالتعلّم في المدرسة يتمثّل بالنسبة لهؤلاء في المثابرة سعياً للنجاح من مستوى إلى آخر، ثمّ الحصول على شهادة تفتح لهم باب الشغل، دون أن يكون ذلك مرتبطاً بالضرورة برغبة في التعلّم، أو بمتعة في المعرفة. فالتلميذ الجيّد في نظرهم هو الذي لا يتأخر عن المدرسة ويشارك في الدرس بالإجابة عن أسئلة المدرّس، وينضبط، ملتزماً تعليمات الإطار التربوي؛ ولا يعني ذلك لهم بالضرورة استيعاب زاد معرفي كبير. كما أن المسؤول في نظرهم عن نجاح العملية التعليمية هو المدرّس وليس التلميذ.

ومقابل هذا التمثل للمدرسة ولدورها بالنسبة لهذه الفئة، يعتبر هؤلاء التلاميذ أن «تعلّم الحياة» يتمثّل في الملاحظة والإنصات والتفكير، وهو ما يُعبّر عنه باكتساب تجربة، ويجب بعد ذلك الربط بين هذه التجربة وقاعدة مُستنتجة. وكمثال على ذلك يقول شارلو إن أحد التلاميذ ذكر له معتمداً على تجربته ما معناه «الثقة تستوجب الحذر...»[٧].

كما لا يميّز التلاميذ بين تجاربهم الخاصة وتجارب أصدقائهم وأقاربهم، فتُعتبر القاعدة التي خلُص إليها بعضهم ـ نتيجة التجربة ـ مبدأ عاماً يمكن أن يحتذيه الآخرون ليصبح بذلك «درساً من الحياة».

فتعلّم الحياة هو القدرة على إعطاء معنى لتجربة معيّنة بالاعتماد على مبدأ أو

---

(٦) راجع B. Charlot, *Du rapport au savoir, éléments pour une théorie,* (Paris: Anthropos, 1997).

B. Charlot, *Le rapport au savoir en milieu populaire. Une recherche dans les lycées professionnels de banlieue,* (Paris: Anthropos, 1999).

(٧) B. Charlot, "Le rapport au savoir en milieu populaire", *VEI Enjeux,* N 123, (Décembre 2000), pp. 56-63

قاعدة، كما أن قيمة مبدأ ما لا تصحّ إلا إذا ثبتت من خلال تجربة، فإن لم تلتقِ التجربة مع القاعدة فلا يمكن «تعلّم الحياة».

وبقدر ما تبدو هذه المقاربة نظرية ومعقدة، فهي تحمل على مستوى التطبيق آفاقاً خصبة لتحليل ممارسات المراهقين وتمثلاتهم في مجال الثقافة والمعرفة؛ ذلك أن ممارسة المطالعة لها ارتباط قوي بالمدرسة، كما أنها تُعتبر في الوقت نفسه ممارسة ترفيهية تُثري تجربة الحياة. فهل تمثّل المطالعة في ذهن المراهق فرضاً من الفروض المدرسيّة اللازمة للنجاح؟ أم أنه يعتبرها ممارسة للترويح عن النفس، وتجربة لاكتساب قواعد ومبادئ تعلّم الحياة؟

### ٣. عينة البحث وخصائصها

سنعتمد في هذه الدراسة على معطيات وقع جمعها من خلال عيّنة تتكوّن من ١٠١٥ مراهقاً، تتراوح أعمارهم بين ١٠ و١٤ سنة، موزّعين على مختلف أنحاء البلاد بمُدُنها وأريافها[٨]. وقد وقع اختيار أفراد العينة بطريقة الحصة النسبية (Quotas) لضمان توزيع أفرادها بحسب ما هو موجود في المجتمع الأصلي بالنسبة لمتغيرات هامة كالنوع الاجتماعي (الجندر)، والوسط (حضري أو ريفي) والانتماء الجهوي، بالإضافة إلى الأصول الاجتماعية باعتبارها محدِّدة أحياناً لممارسات المراهقين الثقافية. وقد وقع تمرير استمارة الاستبيان من طرف مجموعة من المكتبيين (bibliothécaires) لما لهم من دراية في التعامل مع الأطفال والمراهقين.

وتحتوي الاستمارة على ٤٨ سؤالاً، مغلقة في أغلبها، مما مكّننا من تجميع ما يزيد عن ٩٠ متغيراً موزّعة بين خصائص المستجوب وظروفه العائلية، النتائج المدرسية، ممارسة المطالعة وتمثّلاتها، ارتياد المكتبة العمومية ومدى الرضا على أدائها، وأخيراً الممارسات الثقافية والترفيهية الأخرى. وسنقتصر في هذه الورقة على تحليل المتغيّرات التي لها علاقة بتساؤلات البحث وبالمقاربة المفاهيمية المعتمدة.

وتبرز المعطيات التالية أهم المتغيرات المحددة لخاصيّات العيّنة المدروسة:

(٨) وقع إنجاز العمل الميداني المعتمد في هذه الورقة سنة ٢٠٠٦ في إطار دراسة وطنية ساهمتُ في إعدادها بمشاركة مجموعة من الباحثين وأشرف عليها الأستاذ أحمد خواجة، وقام بتمويلها صندوق التضامن الشعبي الفرنسي (FSP)، وذلك في إطار برنامج الترغيب في المطالعة المشترك بين الصندوق ووزارة الثقافة والمحافظة على التراث التونسية.

**الجدول رقم ١: توزيع العيّنة حسب متغيّر النوع الاجتماعي (الجندر)**

| النوع الاجتماعي | العدد في العينة | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| فتيان | ٥٤١ | ٥٣,٣ |
| فتيات | ٤٧٤ | ٤٦,٧ |
| **المجموع** | ١٠١٥ | ١٠٠ |

يمثّل الذكور ٥٣،٣٪ من أفراد العينة، في حين تمثّل الإناث ٤٦،٧٪، ولا يختلف ذلك كثيراً عما هو موجود في المجتمع الأصلي، حيث تُقدّر نسبة الذكور بـ ٥١٪ من فئة ١٠–١٤ سنة.

ويهدف الحرص على تمثيلية العينة بالنسبة لهذا المتغير إلى إبراز الفوارق بين نسب الإقبال على المطالعة حسب النوع الاجتماعي، ذلك أن أغلب الدراسات تؤكد أن الفتيات يطالعن أكثر من الفتيان، وإن تباينت التفسيرات المقدَّمة لذلك.

واعتباراً للدور الذي يلعبه الوسط الحضري في إتاحة مجالات للمطالعة، ومكتبات يتوفّر فيها، بشكل أنسب، رصيدٌ من الكتب تسهِّل إمكانيات القراءة، فقد تضمّنت العيّنة نسبة من المراهقين ينتمون للوسط الحضري تتناسب مع ما وقَع رصده في المجتمع الأصلي. فكان توزيع العيِّنة ٦٣،٣٪ من المستجوبين ينتمون لفضاءات حضرية، في حين مثّل أصيلو المناطق الريفية الـ٣٦،٧٪ الباقية.

ولمزيد الدقة في هذا الجانب، تمّت مراعاة امتداد وطبيعة المجال الحضري، فتمّ تقسيم العيّنة كما يلي: ٣٥،٢٪ من سكان المدن الحضرية الكبيرة، ٢١،٥٪ ينتمون إلى مناطق حضرية متوسطة أو صغرى، ٦،٦٪ هم من سكان القرى الصغيرة، في حين يقطن ٣٦،٧٪ في منطقة ريفية تتميز بالسكن المشتت، ولا تتوفّر فيها غالباً ـ في مجال المطالعة ـ إلا المكتبات المتجوّلة والتي بلغ عددها ٣٠ مكتبة من مجموع ٣٧٨ سنة ٢٠٠٨.

كذلك، ونظراً لعدم تساوي توزيع السكان على مختلف جهات البلاد من ناحية، وتوزيع المكتبات من ناحية أخرى، فقد اختير أفراد العيّنة من مختلف الجهات: مثّل المستجوبين الذين ينتمون إلى جهة الوسط الشرقي ٢٢،٢٪، وهي الجهة الأكثر حضوراً في العيّنة، يليها إقليم تونس الكبرى بـ ١٩،٩٪، فجهة الوسط الغربي بـ ١٦،٣٪، ثم الشمال الشرقي ١٢،٧٪، فالشمال الغربي ١٢،١٪. وتّعتبر جهات الجنوب أقل الجهات حضوراً بـ ١٠،٥٪ في الجنوب الشرقي و٦،٣٪ في الجنوب الغربي.

وبقدر حرصنا على أن تكون العينة ممثلة لمختلف جهات البلاد، فإننا لن نتناول بالدرس في هذه الورقة التفاوت الجهوي في تونس لهذه الممارسة ـ وهو موضوع يستدعي لوحده ورقة أخرى ـ وإنما سنحاول خاصة إبراز العلاقة العامة بين وفرة العرض حسب الوسط الجغرافي ونسب الإقبال على المطالعة من قبل المراهقين.

بالإضافة إلى التوزيع الجغرافي فإن العيّنة تُعتبر أيضاً ممثِّلة لتوزيع المراهقين حسب أصولهم الاجتماعية التي يُستدلّ عليها من خلال الفئة الاجتماعية ـ المهنية للأب، كما جاءت في الجدول التالي:

**الجدول رقم ٢: توزيع العيّنة حسب الفئة الاجتماعية ـ المهنية للأم**

| الفئة الاجتماعية – المهنية | العدد في العيّنة | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| عامل فلاحي | ٩٧ | ٩,٦ |
| عامل غير فلاحي | ٢٥٦ | ٢٥,٢ |
| حرفي أو عمل مستقلّ أو تاجر صغير | ٢٠٢ | ١٩,٩ |
| مستخدم أو موظّف صغير أو معلّم | ١٦٤ | ١٦,٢ |
| إطار متوسّط أو أستاذ | ٩٠ | ٨,٩ |
| إطار عال أو مهنة حرّة عليا | ٥٥ | ٥,٤ |
| فلاح | ٧١ | ٧,٠ |
| مستثمر في الصناعة أو في التجارة أو في الخدمات | ٣٣ | ٣,٣ |
| عاطل يبحث عن عمل | ٢٧ | ٢,٧ |
| نشاط آخر | ١٥ | ١,٥ |
| إجابة | ٥ | ٠,٥ |
| المجموع | ١٠١٥ | ١٠٠ |

نلاحظ من خلال هذا الجدول، أن أبناء العائلات متوسطة الدخل يمثّلون الأكثرية في العينة بـ ٤٥٪، يليهم أبناء المهن البسيطة بـ ٣٧،٨٪، في حين يمثّل أبناء العائلات الأوفر حظاً ١٥،٧٪. ويُعتبر هذا المتغيّر أساسياً باعتبار علاقته بدرجة

الإقبال على المطالعة؛ فأغلب الدراسات أكّدت أن ممارسة المطالعة ترتفع بارتفاع المستوى الاجتماعي للعائلة[٩]، ويُستدل عادة على هذا المتغير من خلال الفئة الاجتماعية ـ المهنية الأعلى بين الأب والأم. غير أن سوق الشغل في تونس يتميّز بضعف نسبي للنشاط الاقتصادي للمرأة بالمقارنة مع الرجل، ذلك أن نسبة النساء من بين مجموع الناشطين تقدر بالربع، مما يجعلنا نقتصر على الفئة الاجتماعية ـ المهنية للأب.

ولمستوى الوالدَين التعليمي تأثير على البيئة الثقافية التي ينشأ فيها الطفل والمراهق، وعلى الممارسات التي يُدفع للقيام بها، فالانخراط في المكتبة العمومية وارتياد دور السينما والمسرح والمشاركة في نوادي الموسيقى أو في غيرها من الأنشطة تكون عادة بإيعاز من الوالدَين. ويبدو أن هذه الاختيارات تختلف باختلاف مستواهما التعليمي. وقد جاء توزّع العيّنة على مستويات التعليم للوالدَين هكذا:

**الجدول رقم ٣: توزيع العيّنة حسب المستوى التعليمي للأب وللأم (بالنسب المئوية)**

| | | المستوى التعليمي للأم | | | | | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | أمية | تعليم ابتدائي | تعليم إعدادي | تعليم ثانوي | تعليم عالٍ | |
| المستوى التعليمي للأب | أمي | ٧،٠ | ١،٣ | ٠،١ | – | – | ٨،٤ |
| | تعليم ابتدائي | ١٠،٥ | ١٨،٦ | ٣،٣ | ١،١ | ٠،١ | ٣٣،٦ |
| | تعليم إعدادي | ٢،٤ | ١٠،٧ | ٧،٥ | ١،١ | ٠،٤ | ٢٢،١ |
| | تعليم ثانوي | ٠،٧ | ٤،٥ | ٥،٦ | ٧،٧ | ١،٤ | ١٩،٩ |
| | تعليم عالٍ | ٠،١ | ١،٤ | ١،٠ | ٤،١ | ٩،٥ | ١٦،٠ |
| المجموع | | ٢٠،٧ | ٣٦،٤ | ١٧،٥ | ١٤،٠ | ١١،٤ | ١٠٠ |

(٩) قام دي سنقلي (De Singly) في هذا المجال بتحليل هرمية الشغف بالقراءة من خلال علاقتها بالوسط الاجتماعي، وأكد ضرورة إكمال هذا التحليل من خلال ممارسات الوالدين وعلاقتهما بالمطالعة. راجع: F. De Singly, Op.Cit, p. 37.

حسب هذا المتغيّر يتميز توزيع العيّنة، بارتفاع المستوى التعليمي للأب بالمقارنة مع الأم؛ ذلك أن نسبة الأمية لدى الآباء في العينة تبلغ ٤،٨٪ في حين أنها تفُوق الـ ٢٠٪ لدى الأمهات. كما أن نسبة الذين حازوا تعليماً لم يتجاوز المرحلة الابتدائية أرفع لدى الأمهات (٣٦،٤٪) مقارنة بالآباء (٣٣،٦٪)، لينعكس بعد ذلك الوضع بداية من المرحلة الإعدادية، حيث تكون دائماً نسب الآباء أعلى من الأمهات. ففي هذه المرحلة تبلغ نسبة الآباء ٢٢،١٪ في حين أنها تمثل ١٧،٤٪ لدى الأمهات، وكذلك الحال بالنسبة لمستوى التعليم الثانوي (١٩،٩٪ للآباء مقابل ١٤،٠٪ للأمهات) والعالي (١٦٪ للآباء مقابل ١١،٤٪).

وتختلف الآراء حول أيّ المتغيّرَين له تأثير أكبر في الممارسات الثقافية للأبناء؟ فالبعض يعتقد أن توزيع الأدوار داخل العائلة يجعل للأم مسؤولية مؤثّرة في اختيارات أبنائها، وبالتالي بقدر ما يكون مستواها التعليمي أعلى يكون ذلك محدِّداً لإقبال أبنائها على المطالعة. ويرى البعض الآخر أن ارتفاع المستوى التعليمي للأم يفتح أمامها إمكانيات العمل خارج المنزل، وبالتالي يُضعف من قدرتها على الاعتناء بكلّ اهتمامات أبنائها، وخاصة تلك المتعلقة بالممارسات الترفيهية والثقافية التي تصبح تحت مسؤولية الأب، وبالتالي يكون تأثيره أوسع[١٠]. وبقطع النظر عن هذا الاختلاف في التعليل فإن ما يُلاحظ، من خلال الجدول السابق، هو وجود علاقة بين المستوى التعليمي للأب وللأم؛ فبقدر ما يرتفع الأول يتبع الثاني النّسَق نفسه، وإن كان المستوى التعليمي للأب دائماً أعلى نسبياً. ويؤكد اختبار كابا الإحصائي (kappa) التوافق بين المستوى التعليمي للوالدين حيث تبلغ قيمته ٠،٣٦ وهي قيمة دالة إحصائياً؛ ذلك أن مستوى دلالتها لا يتجاوز ٠،٠٠٠٩، و ذلك يعني أن درجة الثقة تتجاوز ٩٩،٩٪. ويسمح لنا هذا باعتماد أحد المتغيّرين، دون الآخر، لتحليل نسب الإقبال على المطالعة.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٣١-٣٣.

## ثالثاً: نتائج الدراسة

لقياس المطالعة كممارسة لدى المراهقين، كان الاعتماد على المؤشرات التالية:

- متوسط المدة اليومية التي تُقضى في المطالعة.
- تاريخ آخر ممارسة للمطالعة.
- نسبة ارتياد المكتبات العمومية.
- أنماط المطالعات التي يقبل عليها المراهق.

وستمكّننا هذه المؤشرات من القيام بتقاطعات مع خصائص العينة لدراسة مدى ارتباطها مع الظاهرة المدروسة.

كذلك تمّ رصد الأنشطة الثقافية الأخرى مع التركيز على مشاهدة التلفاز، واستعمال الحاسوب والإبحار في الإنترنت وألعاب الفيديو. وسنحاول من خلال ذلك التثبّت من مدى الارتباط بين ممارسة هذه الأنشطة وممارسة المطالعة.

وقد بيّنت النتائج الأولية للدراسة إقبال المراهقين إقبالاً جيداً بوجه الإجمال على المطالعة، حيث صرح ٣٨،٧٪ من المستجوبين بأنهم طالعوا كتاباً خلال الـ ١٥ يوماً السابقة للاستبيان، وترتفع هذه النسبة إلى ٥٦،٦٪ إذ امتدت الفترة إلى شهر لتصبح في حدود ٧٥٪ خلال الشهرين السابقين للبحث.

وتتوافق هذه النتيجة مع ما ذكرناه سابقاً، ومع ما ذهبت إليه الدراسات من اعتبار الفئة العمرية المدروسة (١٠-١٤) سنة من أكثر الفئات العمرية ممارسة للمطالعة. وإذ لا تتوفر في تونس إحصائيات رسمية أو أعمال ميدانية تؤكّد تراجع المطالعة مع السنّ، غير أنّ البلدان التي تتوفر فيها إحصاءات في هذا المجال تؤكّد أن المطالعة تتقلّص بداية من سن الخامسة عشرة، مع اختلاف في ذلك بين الذكور والإناث[١١].

(١١) راجع: http://www.insee.fr/fr/themes/tableau.asp?reg_id=0&ref_id=NATCCF05410

كما يبيّن ذلك الرسم البياني التالي فقد صرّح ٤٣،٧٪ من المستجوبين بأنهم يطالعون كثيراً في حين ذكر ٣٤،١٪ منهم أن شغفهم بها نسبي، مقابل ١٨،٧٪ لا يهتمون إلا قليلاً بالمطالعة، و٣،٥٪ لا يهتمون بها إطلاقاً، كما يبيّن الرسم التالي:

**الرسم رقم ١:**
**توزيع العينة حسب درجة الاهتمام بالمطالعة**

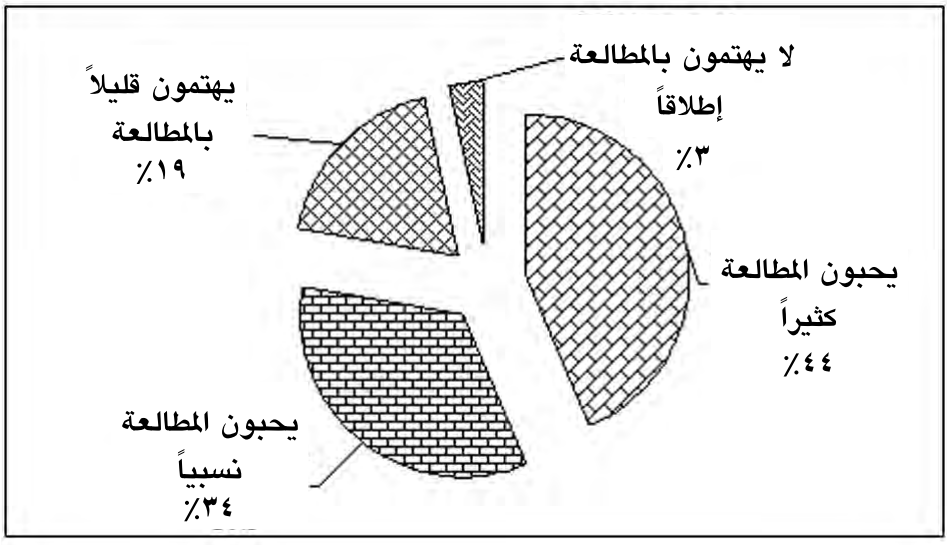


وتتّضح لنا أكثر درجة الإقبال على المطالعة من خلال الوقت اليومي المخصص لها، حيث تُبيّن النتائج أنّ المراهقين والمراهقات يخصصون يومياً قسطاً قليلاً من وقتهم للمطالعة. فبالنسبة لـ ٥١،٩٪ منهم لا يتجاوز الوقت المخصص للمطالعة الثلاثين دقيقة في اليوم، مع فارق بسيط بين الأولاد (٥٢،٩٪) والفتيات (٥١،٠٪). وتتفوق الفتيات في نسبة اللاتي يقضين أكثر من ساعة يومياً في المطالعة، حيث تبلغ هذه النسبة ١٨،٧٪ لديهن، في حين أنها قدرت بـ ١١،٣٪ لدى الأولاد. وبالاعتماد على اختبار مربع كاي الإحصائي تتأكد دلالة هذه العلاقة، ذلك أن قيمة هذا الاختبار تبلُغ ١٩،٣٨٩ مع مستوى دلالة ٠،٠٠١، كما في الجدول التالي:

**الجدول رقم ٤:**

**توزيع العينة حسب الوقت اليومي المخصص للمطالعة وحسب النوع الاجتماعي**

| المدة | الأولاد | | البنات | | المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | العدد في العينة | النسبة المئوية | العدد في العينة | النسبة المئوية | العدد في العينة | النسبة المئوية |
| لا أطالع أبداً | ٣٨ | ٧،١ | ١٦ | ٣،٤ | ٥٤ | ٥,٣ |
| أقل من ١٥ دقيقة | ١٠٤ | ١٩،٤ | ٨٣ | ١٧،٥ | ١٨٧ | ١٨,٤ |
| بين ١٥ و٣٠ دقيقة | ١٤٣ | ٢٦،٤ | ١٤٣ | ٣٠،٢ | ٢٨٦ | ٢٨,٢ |
| بين ٣٠ دقيقة وساعة | ١٨٩ | ٣٤،٩ | ١٤٠ | ٢٩،٥ | ٣٢٩ | ٣٢,٤ |
| ساعة أو أكثر | ٦١ | ١١،٣ | ٨٨ | ١٨،٧ | ١٤٩ | ١٤,٧ |
| بدون إجابة | ٦ | ١،١ | ٤ | ٠،٨ | ١٠ | ١,٠ |
| المجموع | ٥٤١ | ١٠٠ | ٤٧٤ | ١٠٠ | ١٠١٥ | ١٠٠ |

ويختلف هذا التوزيع تماماً إذا ما تعلّق الأمر بمشاهدة التلفاز حيث يخصص ٤٩،٦٪ منهم بين الساعة والساعتين يومياً لذلك، و٢٩،٣٪ منهم يتابع برامج التلفزة لأكثر من ساعتين في اليوم. وقد فطن المختصون في علم الاجتماع منذ زمن لهذه المفارقة وحذّروا من أن مشاهدة التلفزة لمدة تفوق الساعة يومياً تقلّل من الإقبال على المطالعة [١٢].

(١٢) F. De Singly, Op.Cit, p. 4-5.

**الرسم رقم ٢:**
**درجة الاهتمام بالمطالعة حسب الوقت اليومي المخصص لمشاهدة التلفزة**

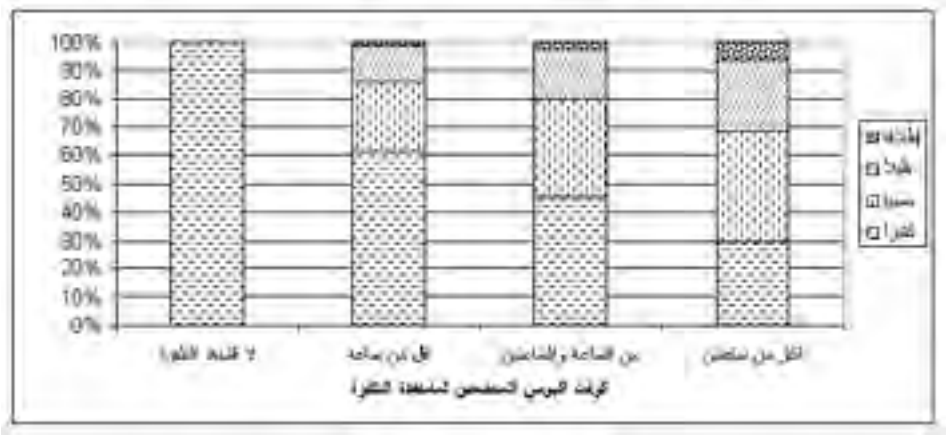


(مربّع كاي = ٦٠،٥٦٦ مع مستوى دلالة ٠،٠٠٠٩)

أما في ما يتعلق باستعمال الحاسوب وفي علاقة ذلك بالمطالعة، فإن نتائج الدراسة أكدت أن هذه الممارسة لا تزال محدودة ولم تشهد بعد إقبالاً عالياً من قبل المراهقين، حيث لم يبدِ ١٢،١٪ منهم رغبة في الحديث عن الحاسوب، في حين صرح ٤٦،٦٪ منهم بأنهم لا يستعملونه إطلاقاً، وذكر ١٣،٣٪ منهم بأنهم يستعملونه لمدة لا تزيد عن الساعة في اليوم، وصرح ١٩،٧٪ بأنهم يستعملونه لمدة تتراوح بين الساعة والساعتين في اليوم، في حين أكّد ٨،٣٪ أنهم يستعملونه لمدة تفوق الساعتين. ويمكن تفسير هذا الوضع بقلّة وفرة هذه التجهيزات، خاصة لدى العائلات الضعيفة الدخل أو القاطنة في الوسط الريفي. وتؤكّد الإحصائيات الرسمية هذا الواقع، فبالاستناد إلى التعداد العام الأخير للسكان والسكن، يتبيّن أن ٧٪ فقط من مجموع الأسر تمتلك حاسوباً، كما أنّ ٧،٩٪ من الأسر قد استعمل أحد أفرادها الإنترنت داخل المنزل أو خارجه[١٣].

(١٣) المعهد الوطني للإحصاء، التعداد العام للسكان والسكنى لسنة ٢٠٠٤، العدد الأول: النتائج الأولية، (تونس ٢٠٠٥).

غير أنّ هذا النقص الواضح في الإقبال على هذه الممارسة لا ينفي ارتباطها بالمطالعة، وإن اختلف الاتجاه هذه المرّة عما لوحظ بالنسبة للتلفاز. فمُستعمِلو الحاسوب لفترات طويلة هم، أيضاً، من ترتفع بينهم نسب قضاء أكثر من ساعة يومياً في المطالعة؛ ذلك أنّ نسبة المطالعة تبلغ لدى مجموع العينة ١٤،٧٪، في حين أنها تُقدّر بـ ٢٣،٥٪ لدى من يقضي بين الساعة والساعتين في استخدام الحاسوب، و٢٧،٤٪ لدى من يقضي في ذلك أكثر من ساعتين. وتبلغ قيمة اختبار مربع كاي عند اعتبار التقاطع بين المدة اليومية المقضيّة في استخدام الحاسوب وبين المدة اليومية المقضية في المطالعة ٥١،٦٠٩ مع مستوى دلالة أقل من ٠،٠٠٠٩ ويدلّ هذا على أنّ للمراهقين، وبعكس ما يعتقد الكثيرون، القدرة على التوفيق بين الممارسات التي تعتمد على الوسائل الحديثة والتي تفترض تقنيّة متطورة، والممارسات التي لها طابع أدبي كالمطالعة مثلاً. وتفنّد هذه الملاحظة ما افترضناه في بداية هذا العمل من أنّ وفرة الوسائل الحديثة التي تعتمد أساساً على التقنيّات المتطورة قد تُولّد اتجاهاً لدى الناشئة يتبنّون فيها تراتبية للمعارف يُفضَّل فيها ما هو حديث ورائج على المعارف الأخرى.

### ١. المطالعة والعائلة

بسؤالنا عن الدافع وراء المطالعة، يتبين أن هذه الممارسة تكاد أن تكون منعدمة في البيئة العائلية، ذلك أنّ ١٩،٦٪ فقط من الإجابات أقرّت بأن الوالدين يقومان بالتحفيز والتشجيع على المطالعة، في حين أكّد ٨٠،٤٪ منها انعدام ذلك، كما أن ١١،٣٪ فقط صرحوا بأن آباءهم يطالعون؛ ولا يبدو أن توفير مكتبة في المنزل من الأولويات العائلية، فمن بين مجموع المستجوبين أكد ١٤،٢٪ امتلاك أسرهم لمكتبة.

وتختلف هذه الوضعية مع الفئة الاجتماعية ـ المهنية ومع المستوى التعليمي، حيث يبدو الآباء الذين ينتمون لفئة الإطارات العليا، والذين يمارسون مهناً حرة عليا، من أكثر الفئات تشجيعاً لأبنائهم على المطالعة، بنسبة ٢٩،١٪، في حين تتدنى هذه النسبة لدى الفئات الضعيفة (العمال في الفلاحة ١٢،٩٪ والعمال غير الفلاحين ١٦،٢٪ والعاطلين عن العمل ١٤،٨٪). لكن ما يثير الاهتمام هو أن هذه النسبة تتدنّى أيضاً لدى بعض الفئات الميسورة مادياً من أمثال الفلاحين الكبار (٨،٥٪)، أو الأعراف في مجال الصناعة والتجارة (١٥،٦٪). ويدفعنا هذا إلى اعتماد متغيّر آخر مكمّل للأول، وهو المستوى التعليمي للوالدين، كما في الجدول التالي.

## الجدول رقم ٥:
## يبيّن توزيع العينة حسب تشجيع الوالدين على المطالعة والمستوى التعليمي للأم

| المدة | الوالدان يشجعان على المطالعة | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | نعم | | لا | | بدون إجابة | |
| | العدد في العينة | النسبة المئوية | العدد في العينة | النسبة المئوية | العدد في العينة | النسبة المئوية |
| أمي | ٣٣ | ١٥،٨ | ١٦٨ | ٨٠،٤ | ٨ | ٣،٨ |
| تعليم ابتدائي | ٥٧ | ١٥،٤ | ٣١٠ | ٨٤ | ٢ | ٠،٥ |
| تعليم إعدادي | ٣٦ | ٢٠،٣ | ١٣٥ | ٧٦،٣ | ٦ | ٣،٤ |
| تعليم ثانوي | ٤٠ | ٢٨ | ١٠٢ | ٧١،٣ | ١ | ٠،٧ |
| تعليم عالٍ | ٣٠ | ٢٦،١ | ٨٥ | ٧٣،٩ | – | – |
| بدون إجابة | – | – | ٢ | ١٠٠ | – | – |
| المجموع | ١٩٦ | ١٩،٣ | ٨٠٢ | ١٠٠ | ١٠١٥ | ١٠٠ |

ففيما يتعلق بالأب، ترتفع درجة تشجيع الوالدين على المطالعة مع ارتفاع مستواه التعليمي. من ذلك، مثلاً، أنّ نسبة من يتلقّون تشجيعاً على المطالعة من والدَيهم ترتفع إلى ٢٢،٥٪ لدى أبناء من تابعوا تعليماً إعدادياً، لتصل إلى ٢٦،٧% بالنسبة للآباء الذين تابعوا تعليماً جامعياً. ويتأكّد هذا الأمر، كذلك، بالنسبة للمستوى التعليمي للأم.

يبدو جلياً الارتفاع التدريجي للتحفيز على المطالعة من قبل العائلة مع ارتفاع المستوى التعليمي للأم، ذلك أن انعدام التعلّم أو ضعفه يجعل هذا التشجيع في أدنى مستوياته بـ ١٥،٨٪ و بـ ١٥،٤٪ عندما تكون الأم أمية، أو تابعت فقط تعليماً ابتدائياً، لترتفع بعد ذلك نسبة التحفيز إلى ٢٠،٣٪ بالنسبة للأمهات اللواتي حصّلْن تعليماً إعدادياً. وتلعب الأمهات المتحصّلات على مستوى التعليم الثانوي دوراً كبيراً في دفع أبنائهن نحو المطالعة، باعتبار أن هذه النسبة تبلغ أعلى قيمة لها بـ ٢٨٪، لتنخفض بعد ذلك قليلاً، بالنسبة للأمهات اللواتي تابعْن تعليماً جامعياً. وقد سبق تقديم تفسير لذلك بأن الأمهات اللاتي ينتمين لهذه الفئة هن في الغالب من الناشطات اقتصادياً، مما يقلّص نسبياً إمكانية اهتمامهن بهذا الجانب من حياة أبنائهن. ومن خلال اختبار مربع كاي يتأكد وجود علاقة دالّة بين المستوى التعليمي للأبوين ودرجة تشجيع الأبناء على المطالعة، حيث تبلغ قيمة هذا الاختبار الإحصائي ١٥،٠١٤ مع مستوى دلالة ٠،٠٠٥ بالنسبة للأمهات في حين أنه قدر بـ١١،٠٦٣ بالنسبة للآباء مع مستوى دلالة ٢٦,٠.

## ٢. المطالعة والمدرسة

أمام ضعف دور العائلة لدفع هذه الممارسة، تبدو المدرسة أهمّ حافز لها، ذلك أن ٥٣،٥٪ من المستجوبين أقروا بأن المدرّسين يحثّونهم على المطالعة. كذلك تتصدّر الكتب المعاوِنة على المراجعة (livres parascolaires) قائمة الكتب التي يُقبِل عليها المراهقون ويحبّذونها.

وتبيّن نتائج الدراسة أن العلاقة دالّة بين النتائج المدرسية للتلميذ وممارسة المطالعة، حيث إنّ نسبة من لا يطالعون أبداً تنخفض تدريجاً من ١٤،٨٪ بالنسبة لمن يقل معدلهم السنوي العام عن ١٠ من ٢٠، إلى ٠،٣٪ بالنسبة لمن يتجاوز هذا المعدل ١٤/٢٠، ومقابل ذلك ترتفع الفترة المخصصة للمطالعة تبعاً لتحسن النتائج المدرسية. من ذلك، مثلاً، أن ٤،٩٪ من الذين لا يفوق معدّل علاماتهم المدرسية السنوية العامّة ١٠/٢٠ يقضون أكثر من ساعة في المطالعة، في حين أن هذه النسبة تصل إلى ٢٢،٦٪ لمن تجاوز ذلك المعدّل ١٤/٢٠. كما يبيّن الجدول التالي.

**الجدول رقم ٦:**
**توزيع العينة حسب الوقت اليومي المخصص للمطالعة والمعدل السنوي العام في المدرسة (بالنسبة المئوية)**

| المدة | المعدل السنوي العام في المدرسة | | | | مجموع العينة |
|---|---|---|---|---|---|
| | أقل من ١٠/٢٠ | بين ١٠/٢٠ و١١،٩٩/٢٠ | بين ١٢/٢٠ و١٣،٩٩/٢٠ | أكثر من ١٤/٢٠ | |
| لا أطالع أبداً | ١٤،٨ | ١٠،١ | ٣،٦ | ٠،٣ | ٥,٣ |
| أقل من ١٥ دقيقة | ٣١،١ | ٢٢،٦ | ١٨،٥ | ١٢،٢ | ١٨,٤ |
| بين ١٥ و٣٠ دقيقة | ٢١،٣ | ٣٠،٠ | ٢٩،٣ | ٢٦،٤ | ٢٨,٢ |
| بين ٣٠ دقيقة وساعة | ٢٤،٦ | ٢٩،١ | ٣١،٥ | ٣٨،٣ | ٣٢,٤ |
| ساعة أو أكثر | ٤،٩ | ٦،٨ | ١٧،٠ | ٢٢،٦ | ١٤,٧ |
| بدون إجابة | ٣،٣ | ١،٥ | ٣،٦ | ٠،٣ | ١,٠ |
| المجموع | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

(مربع كاي = ٩٩،٠٧٣ مع مستوى دلالة < ٠،٠٠٠٩)

لكن، رغم ذلك، يبقى السؤال مطروحاً حول طبيعة هذه العلاقة واتجاهها: فهل إن المطالعة هي التي تساهم فعلاً في تحسين نتائج التلميذ؟ أم أن العكس هو الصحيح، أي أنّ التلميذ الذي يمتلك قدرات أحسن هو من يختار أكثر من غيره ممارسة المطالعة؟

دون أن ينقص ذلك من القيمة التربوية للمطالعة، تبدو الفرضية الثانية أقرب لواقع التلميذ. فقد بيّنت معطيات الدراسة أن درجة الإقبال على المطالعة ترتفع إذا كان مستوى التلميذ في اللغة العربية أو الفرنسية طيّباً. ويدل هذا على أنّ المراهق إذا ما تملّك الكفاءات اللغوية اللازمة للقراءة، فإنه يُقبل على المطالعة دون صعوبة، بل ويتعلّق بها لتصبح ممارسة ممتعة في نظره، كما في الجدول التالي.

**الجدول رقم ٧:**
**توزيع العينة حسب حبّ المطالعة والمستوى الدراسي في اللغة العربية (بالنسبة المئوية)**

| حبّ المطالعة | المستوى الدراسي في اللغة العربية | | | مجموع العينة |
|---|---|---|---|---|
| | جيد | متوسط | ضعيف | |
| **كثيراً** | ٦٤،٠ | ٣٠،٢ | ١٣،٨ | ٤٣،٧ |
| **نوعاً ما** | ٢٧،١ | ٣٩،٥ | ٢٧،٦ | ٣٤،١ |
| **قليلاً** | ٧،٩ | ٢٥،٤ | ٤١،٤ | ١٨،٧ |
| **أبداً** | ٠،٧ | ٤،٨ | ١٧،٢ | ٣،٥ |
| **بدون إجابة** | ٠،٢ | ٠،٢ | – | ٠،٤ |
| **المجموع** | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

(مربع كاي = ١٥٥،٨٧٥ مع مستوى دلالة < á ٠،٠٠٠٩)

يتّضح ذلك جليّاً من خلال هذه المعطيات. فمن بين من كان مستواهم الدراسي جيّداً في اللغة العربية، صرح ٦٤٥ بأنهم يحبون كثيراً ممارسة المطالعة، وتنخفض هذه النسبة إلى ٣٠،٢٪ بالنسبة لمن لهم مستوى متوسط، و١٣،٨٪ بالنسبة للّذين مستواهم ضعيف. وفي المقابل صرّح ٤١،٤٪ ممّن كان مستواهم ضعيفاً بأنهم لا يحبّون المطالعة إلاّ قليلاً، وتبلغ هذه النسبة الـ ٢٤،٤٪ بالنسبة لأصحاب المستوى المتوسط، و ٧،٩٪ بالنسبة لمن كان مستواهم جيداً.

من خلال هذه النتائج، تبدو لنا المطالعة شكلاً من أشكال الدراسة أو مكمّلة لها، حيث يجتهد التلميذ فيها لتحسين مستواه وإرضاء لرغبة المدرس. فعلاقة المراهق بالمطالعة بصفة خاصة، أو بالمعرفة بصفة أعمّ، تغيب فيها غالباً، متعة التعلّم ومتعة المعرفة؛ فأغلب المستجوَبين(٥٧،١٪) يعتبرون المدرسة أساساً أداة للنجاح في الحياة، وبالتالي يُبدي أغلبهم حرصاً على الانضباط في الدراسة وفي متابعة تعليمات المدرس متابعة جادّة، بما في ذلك تلك المتعلقة بالمطالعة[١٤]. وكدليل آخر على ذلك لا تمثّل مطالعات المراهق محوراً دائماً لنقاشاته مع أصدقائه

(١٤) أكد ٥٣،٥ من المستجوبين أن المدرسين يشجعونهم على المطالعة.

أو أفراد عائلته إلا بالنسبة لـ ١١،٦٪ من أفراد العينة، في حين أن البقية لا يتحاورون حولها إلا أحياناً (٣٦،٦٪) أو نادراً (٢٨،٢٪) في حين صرح الـ ٢١،٥٪ الباقون أنهم لا يتحدثون عنها أبداً.

وفي هذا الإطار، تجدر الملاحظة بأنّ الكثير من المكتبيين قد دوّنوا أثناء عملية الاستقصاء في الجزء المخصص لملاحظاتهم في الاستمارات أنّ المراهقين يعتبرون المكتبات العمومية فضاء للمراجعة بدل المطالعة، ويبرز ذلك التداخل الحاصل في ذهن المراهق بين مجالَي المطالعة والمدرسة. وقد دفعنا هذا إلى التساؤل عن مدى ارتياد المكتبات العمومية من قبل المراهقين، وعن درجة رضاهم عن وفرة رصيد المكتبات، وتناسبها مع ما يرغبون فيه من عناوين أو أنماط معينة منها.

### ٣. المراهقون والمكتبات العمومية

في هذا المجال تدلّ مؤشّرات الدراسة على أنّ نسبة اشتراك الفئة المدروسة في المكتبات العمومية والمدرسية تبلغ ٣٩،٧٪ من مجمل أفراد العينة، وتختلف هذه النسبة قليلاً حسب النوع الاجتماعي، ذلك أنها تُقدّر بـ ٤٢،٨٪ لدى الفتيات مقابل ٣٧،٠% بالنسبة للفتيان. وكما يتبين من خلال إجابات المراهقين الذين كانوا بصدد المطالعة أثناء فترة الاستقصاء، إنّ مصدر الكتاب الذي يطالعونه هو في ٣٤،٨٪ من الحالات مُستعار من المكتبة العمومية وفي ٩،٨٪ متأتٍّ من المكتبة المدرسية، وتمثّل المكتبات العمومية والمدرسية بالتالي أوّل مصدر للكتب التي يطالعها المراهقون بالمقارنة مع المصادر الأخرى كما يبين ذلك الجدول التالي.

**الجدول رقم ٨: توزيع العينة حسب مصدر الكتاب الذي صرح المراهق بأنه بصدد مطالعته أثناء الاستقصاء وطبيعة منطقة الإقامة**

| المصدر | مكان الإقامة | | | | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| | مدينة كبرى | منطقة حضرية متوسطة أو صغرى | قرية | منطقة ريفية | |
| مكتبة العائلة | ٨،٢ | ٥،٥ | ٢١،٤ | ١٠،٢ | ٩،٣ |
| المكتبة العمومية | ٤٧،٨ | ٣٨،٦ | ١٦،٧ | ٢٢،٧ | ٣٤،٨ |
| المكتبة المدرسية | ٣،٨ | ٧،١ | ١١،٩ | ١٧،٦ | ٩،٨ |

**تابع جدول رقم ٨**

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| اقتنيته بنفسي | ١٥،٢ | ١٤،٢ | ٧،١ | ٧،٤ | ١١،٧ |
| اقتناه لي أحد أفراد عائلتي | ١٧،٤ | ١٥،٠ | ٢٦،٢ | ٣١،٣ | ٢٢،١ |
| هدية | ٧،٦ | ١٩،٧ | ١٦،٧ | ١٠،٨ | ١٢،٣ |
| المجموع | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

(مربع كاي = ٧٦،٥٠٩ مع مستوى دلالة < á ٠،٠٠٠٩)

ويتأكد دور المكتبات العمومية والمدرسية في دفع ممارسة المطالعة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار طبيعة المنطقة التي ينتمي إليها المراهق. فالمكتبات تنتشر خاصة في المناطق ذات الكثافة السكّانية العالية من مدن كبرى وتجمّعات سكّانية متوسطة الحجم، أو الصغرى. ويتجلى من خلال معطيات الدراسة أنّ المراهقين من سكّان هذه المناطق يجدون ضالتهم من الكتب في المكتبات العمومية بدرجة أولى (٤٧،٨٪ بالنسبة للمدن الكبرى، و٣٨،٧٪ بالنسبة للمناطق الحضرية المتوسطة والصغرى)، ويختلف هذا الأمر في ما يتعلق بالقرى والأرياف، حيث تؤمّن المكتبات المتجوّلة هذه الخدمة، في الغالب. ولا تمثّل المكتبات العمومية إلا مصدراً متواضعاً لكتب المطالَعة في القرى بـ ١٦،٧٪ أو في الأرياف بـ ٢٢،٧٪. ويُحيلنا هذا إلى إشكالية تقريب خدمات المطالعة العمومية من هذه الشريحة من المراهقين، خاصة أن عدد المكتبات المتجوّلة لم يزدد خلال الخمس سنوات الأخيرة إلا بمكتبتَين جديدتَين، ليصبح عددها ٣٠ مكتبة سنة ٢٠٠٨؛ ولم يواكب هذا نسق تطور المكتبات القارة التي زاد عددها من ٣٣٤ إلى ٣٤٨ خلال الفترة نفسها.

**الرسم رقم ٣: وتيرة ارتياد المكتبات العمومية**

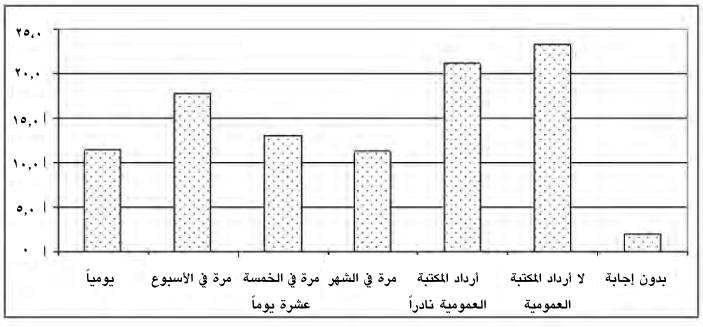

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار وتيرة ارتياد المكتبات فإن ٢٣،٣٪ من المستجوبين ذكروا بأنهم لا يرتادونها البتّة، وبيّن ٢١،٢٪ بأنهم لا يرتادونها إلا نادراً، في حين يُقبل الباقون عليها مرة واحدة في الشهر بنسبة ١١،٤٪، أو كل خمسة عشر يوماً عند ١٣،١٪، أو مرة في الأسبوع لدى ١٧،٨٪، أو يومياً بالنسبة لـ١١،٤٪.

وقد بادرنا بالسؤال عن درجة رضا المراهقين عن خدمات المكتبات العمومية، وعن اقتراحاتهم حتى تتلاءم هذه الخدمات مع حاجياتهم، فأكدت النتائج أن الاستقبال في المكتبة جيّد بالنسبة لـ ٦٣،٨٪ من الردود، وعبّرت ٣٠،٥٪ عن الرضا التام على خدمات المكتبة، في حين صرّح ٢٩،٥٪ أن الرضا عليها نسبي. وقد قدم المُستَجوَبون مقترحات عملية لتحسين المكتبات العمومية كما يبيّن ذلك الجدول التالي.

**الجدول رقم ٩: توزيع العينة حسب المقترحات التي قدمها المراهقون لتحسين خدمات المكتبات العمومية**

| المقترحات | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| **إثراء رصيد المكتبة** | ٢٢١ | ٢١،٨ |
| **إدخال أو تحسين الإعلامية** | ١٤٢ | ١٤،٠ |
| **إنشاء مكتبة جديدة** | ١٠٢ | ١٠،٠ |
| **تحسين الاستقبال** | ٦٩ | ٦،٨ |
| **تحسين نظافة المكان** | ١٦ | ١،٦ |
| **مقترح آخر** | ٨٦ | ٨،٥ |
| **بدون إجابة** | ٣٧٩ | ٣٧،٣ |
| **المجموع** | ١٠١٥ | ١٠٠ |

ولا يختلف هذا التوزيع بين الفتيان والفتيات، إذ عبّروا أولاً عن ضرورة إثراء رصيد المكتبة بمؤلّفات قد تكون أقرب إلى اهتمامهم، ويُحيلنا هذا إلى التساؤل حول الكتب التي يحبّذ المراهقون مطالعتها. وما لفت انتباهنا هو أنّ مجال اهتمامهم واسع نسبياً. فبقطع النظر عن تعلقهم بالكتب المساعِدة على مراجعة الفروض المدرسية ـ والذي حلّلنا أسبابه سابقاً ـ فهم يحبّذون، بنسب متقاربة، مطالعة القصص المصورة (Bandes dessinées) وكتب القصص والروايات ثم الكتب المتعلقة بعالم الحيوان

والطبيعة والكتب العلمية. ويدعو هذا إلى المزيد في متابعة اتجاهات المطالعة لدى المراهقين لرصد حاجاتهم المتطورة. ويؤيّد المقترح الثاني أيضاً هذه النظرة، فآفاق المطالعة قد تطوّرت لدى المراهق وهو يطمح إلى أن تساعده المكتبة العمومية على الحصول على الوسائل التي لم توفّرها له بيئته العائلية من حواسيب وبرمجيات متخصصة. ولا يتعارض ذلك، كما سبق وفسّرنا، مع المطالعة، بل إن من شأن هذه الوسائل العصرية أن تعزّزها وتطوّرها.

## رابعاً: الخـــلاصة

اهتمّت هذه الورقة بمسألة المطالعة لدى فئة المراهقين في تونس، حيث حاولنا البحث في تمثّلاتهم واتجاهاتهم وفي ارتباطها بوسائل الاتصال الحديثة، كما حاولنا اعتماد مقاربة مفاهيمية تأخذ بعين الاعتبار المعنى الذي يُعطيه المراهق لممارساته الثقافية ولعلاقته بالمعرفة. وقد توصّلنا إلى نتائج قد تُسهم في إبراز أسباب عدم إقبال بعض المراهقين على المطالعة، أو انقطاعهم عنها بشكل تصاعدي مع السن.

ويتّضح جلياً، من خلال النتائج، أن المدرسة تلعب دوراً هاماً في التحفيز على المطالعة. وبقدر ما نعتبر ـ مبدئياً ـ هذا الدور إيجابياً إلا أنه يثير أيضاً إشكالات تتعلق بالخلط الذي يقع فيه المراهق بين الواجبات المدرسية والمطالعة. فالمطالعة في تصوّرنا هي ممارسة ترفيهية ترتبط أساساً بمتعة معرفية ورغبة في الاطّلاع لدى القارئ، وربطها بالواجبات المدرسية قد يسهم في تحسين الإقبال عليها، لكن بصفة غير دائمة، فحالما تنتهي العلاقة بالمدرسة، بشكل أو بآخر، تنتفي معها العلاقة بالمطالعة والكتاب.

كما بيّنت الدراسة أنّ استعمال الحاسوب لا ينقص من الإقبال على المطالعة بل يسهم في تحسينه. فالمشكلة لا ترتبط بالوسيلة المعتمدة للقيام بممارسة ثقافية أو ترفيهية معيّنة، بقدر ما تتعلق بالرغبة المستبطَنة في القيام بها، وفي هذا المجال يبدو تأثير التلفاز أكثر إضراراً بالمطالعة، خاصة إذا ما تجاوزت الفترة اليومية المخصصة له الساعة.

كما أن تقريب المكتبات من الفئات البعيدة عن المناطق الحضرية قد يكون له تأثير إيجابي على زيادة الإقبال على ارتياد المكتبات، خاصة إذا ما توفّر فيها رصيد متنوّع من الكتب، يتلاءم مع احتياجات المراهق، بالإضافة إلى الوسائل الحديثة من حواسيب وإنترنت، باعتبارها في وقتنا الراهن من الوسائل اللازمة والأساسية.

## قائمة المراجع

### المراجع العربية:

الإدارة العامة للمطالعة العمومية، المكتبات العمومية والمخطط الوطني للتشجيع على المطالعة، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس ١٩٩٤.

المعهد الوطني للإحصاء، التعداد العام للسكان والسكنى لسنة ٢٠٠٤، العدد الأولو النتائج الأولية، تونس ٢٠٠٥.

المعهد الوطني للإحصاء، النشرة الإحصائية السنوية لتونس، العدد ٥١، تونس ٢٠٠٨.

### المراجع الفرنسية:

Bourdieu P., *Questions de Sociologie*. Paris: Minuit, 1980.

Charlot B.,*Du rapport au savoir, éléments pour une théorie*. Paris: Anthropos, 1997.

Charlot, B. *Le rapport au savoir en milieu populaire. Une recherche dans les lycées professionnels de banlieue*. Paris: Anthropos, 1999.

Charlot B. "Le rapport au savoir en milieu populaire", *VEI Enjeux,* Nº123, Décembre 2000, p. 56-63.

De Singly, F. *Lire à 12 ans*. Paris NATHAN, 1989.

Galland, O. *Les Jeunes*. Paris: La Découverte, 1984.

Khouaja, A. "L'illettrisme en Tunisie". *Rassid*, Nº9, p. 10-13.

Ksibi, A. "La jeunesse estudiantine et les nouvelles technologies de l'information". *Culture, Société, et Nouvelles Technologies de l'Information*, Tunis: CERDOJES, 2001, p.251-304.

Levi, G., Schmitt, J.C. *Histoire des Jeunes en occident*. Paris: Seuil, 1996.

Michoudon, H. "La lecture une affaire de famille". *INSEE Première,* Nº777, Mai 2001, p. 1-4.

### مواقع أنترنت:

http://www.insee.fr/fr/themes/tableau.asp?reg_id=0 &ref_id=NATCCF05410